

وقعت غزوة أحد يوم السبت فلما كان يوم الأحد ندب النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين إلى النهوض في طلب العدو إرهاباً لهم حتى لا يظنوا أن انكسارهم في غزوة أحد انكسار نهائي وليشعروهم أنه مازال بهم قوة وقدرة على مطاردتهم ولو خارج المدينة

غزوة حمراء الأسد

لم يأذن النبي عليه الصلاة والسلام إلا لمن حضر أحدًا وعذر جابرًا رضي الله عنه لأن أباه قد قُتل وترك خلفه سبع بناتٍ أو تسع بناتٍ على اختلاف الروايات

هذا معنى قول الله عز وجل في الثناء على الصحابة: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 172] يعني الرسول يناديهم وقد أثنوا بالجراح ومعنوياتهم منهاراً ومع ذلك لم يتخلفوا رضي الله عنهم

فخرجوا رضي الله عنهم إلى حمراء الأسد وهي منطقة قريبة من المدينة تقريباً سبعة عشر كيلو



وقعت في صفر سنة أربعة من الهجرة

ذلك أن قوم غُضَل والقارة (وهم من الهول من خزيمة بن مدركة، موقعهم بين مكة والمدينة وهم إلى مكة أقرب) جاء إلى المدينة رهط منهم وقالوا: إن فيهم إسلاماً فابعت معنا نفرًا من أصحابك يفقهونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام

بعث عليه الصلاة والسلام ستة نفرًا في قول ابن إسحاق وصححه أبو القاسم السهيلي أنهم كانوا عشرة من الصحابة رضي الله عنهم قال السهيلي: هو على الصحيح وهو الذي ذكره البخاري

بعث الرجيع

أمر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان معهم خبيب بن عدي وعاصم بن ثابت فلما كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل، وهذيل هم قبيلة عبد الله بن مسعود بناحية من نواحي الحجاز، استصرخوا عليهم القبيلة هذيل فجاءوا بهم وأحاطوا بهم وغدروا

قاتل عاصم حتى قُتل وكان قد أقسم بالله ألا يمس مشركاً وألا يمس مشركاً فبرَّ الله عز وجل قسمه جاءت حوله دبابير (ذكور النحل) تحمي جسده فلما رأى المشركون هذا منه تركوه فلما جاء الليل جاء مطرٌ كثيرٌ في الوادي فجرف جثته ولا يُدرى أين هي إلى الآن فحمى الله جسده وأبرَّ يمينه

ممن استأثر به خبيب بن عدي فمكث عندهم مسجوناً فلما أرادوا أن يقتلوه خرجوا به إلى التنعيم فصلبوه وقبل أن يقتلوه استأذنهم أن يصلي ركعتين فصلى وقال: والله لولا أن تقولوا إن بي جزعٌ من الموت والله لزدتُ ثم قال أبياته المشهورة: ولست أبالي حين أقتل مسلماً * على أي شقٍ كان في الله مصرعي/وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزغ وله قصة مطولة فيها كرامة كان يأتيه عنبٌ في وقتٍ لا يُعرف العنب في ذلك الوقت

وكذلك زيد بن الدثنة رضي الله عنهما فابتاعه صفوان بن أمية قبل أن يُسلم فقتله بأبيه قال له أبو سفيان: أيسرك أن محمداً في مكانك عندنا هنا تُضرب عنقه وأنت في أهلك آمن؟ فقال: "والله ما يسرني أني في أهلي وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه"

لا يصح إيمان أحدٍ إلا أن يكون قلبه عامراً بحب الله عز وجل يحب الله ويحب رسوله عليه الصلاة والسلام فمن المهم جداً أن نبني أبناءنا وبناتنا على هذا في عصرٍ كثرت فيه المغريات والنوازع إلى الشر

كانت أيضاً في شهر صفر سنة أربع وذلك أن أبا البراء عامر بن مالك الذي يُعرف بملاعب الأسنة قديم على النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الشهر فدعاه النبي عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام فلم يُسلم ولم يُبعد، لكن قال: يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى نجدٍ (تقع في وسط شبه الجزيرة وجهة الشمال منها يعني الرياض وحائل وهذه المناطق تقريباً في السعودية حالياً) يدعونهم إلى دينهم لرجوت أن يجيبوهم، قال: «إني أخاف عليهم أهل نجد» فقال أبو براء: أنا جارٌ لهم

بعث النبي عليه الصلاة والسلام سبعين رجلاً على الصحيح كانوا جماعة من القراء ومن سادات الصحابة وأمر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي ولقبه المعنق ليموت، ذلك انهم بعد أن غدروا بهؤلاء السبعين وأرادوا أن يقتلوه أسرع هو إلى قتالهم ليموت في سبيل الله فسُمي المعنق الذي مدَّ عنقه طلباً للشهادة

فلما نزلوا بئر معونة وهي أرضٌ د بين بني عامر وحرّة بني سليم ثم بعثوا منها حرام بن ملحان خال أنس بن مالك، بعثوا بكتابٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل فلم ينظر فيه وأمر به فقتله رجلٌ ضربةً بحربةٍ من الخلف وفار الدم فجعل حرام يضعه على رأسه ويقول: "فزتُ وربّ الكعبة" والشعور بالفوز في لحظات خروج الروح لا يذوقه إلا المؤمنون والصادقون

قتلوا جميعاً ولم يسلم منهم إلا كعب بن زيد رضي الله عنه وهو من بني النجار فإنه بقي في القتلى وكأنه منهم فلما رأى أن العيون اختفت عنه هرب ورجع إلى المدينة فعاش حتى قُتل في غزوة الخندق رضي الله عنه

وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن محمد بن عقبة في سرح المسلمين فلما رأوا الطير تحوم حول هذه الجثث الطاهرة الزكية جاءوا فوجدوا المشركين قد قتلوا الصحابة رضي الله عنهم فقاتل منذر بن محمد المشركين حتى قُتل

قصة عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن محمد بن عقبة

أما عمرو فأسر فلما أخبر أنه من مضر، جذ عامرٌ ناصيته وأعتقه فيما زعم عن رقبةٍ كان على أمه ورجع عمرو فلما كان في مكانٍ يقال له القرقرة من صدر قناة والقرقرة جنوب شرق المدينة قريبة، نزل فجاء رجالان من بني كلابٍ وقيل من بني سليم الذين غدروا بالصحابة رضي الله عنهم، فوجدها عمرو فرصةً فلما ناموا تحت شجرةٍ اخترط سيفه وقتلها ولم يعلم رضي الله عنه بأن هؤلاء معهم كتابٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال: لقد قتلتَ قتيلين لأديهما وكان هذا سبب غزوة بني النضير كما ورد هذا في الصحيح

أمر الدعوة لا يقوم بالقتال فقط بل بالعلم أساساً ثم القتال لأن الله أول ما أنزل "اقرأ" ثم بعد ذلك القتال يأتي تبعاً وليس العكس بدليل أن الله تعالى أمر المسلمين ثلاث عشرة سنةً أن لا يرفعوا سيفاً واحداً في مكة بل "أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" فالقتال ليس مقصوداً لذاته وإنما مقصودٌ لغيره ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: 39]

مشروعية صلاة ركعتين عند القتل: ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام بلغه الموقف فأقره

حزن النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم حزناً عظيماً فبقي شهراً كاملاً يقنت في الصلاة على عُصية ورعلٍ وذكوان الذين غدروا بسبعين عالماً أو سبعين طالب علمٍ لأن قتل العالم أو طالب العلم يُقتل به أمةٌ وليس دم المسلم رخيصةً أيّاً كان لكن يعظم الأثر بعظم منزلة المقتول

مشروعية القنوت بقي عليه الصلاة والسلام يقنت شهراً ويقول: «اللَّهُمَّ الْعَن بَنِي إِحْيَانَ، وَرِعْلًا وَذَكْوَانَ، وَعَصِيَّةَ عَصَا اللَّهِ وَرَسُولَهُ»

لما أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يذهب إلى بني النضير من أجل أن يستعين على دية قتيلي عمرو بن أمية لما بينه وبينهم من الحلف فجلس النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر وعمر وعليٌّ وطائفةٌ من الصحابة تحت جدارٍ لهم وفي الخفاء اجتمع بني النضير على رأسهم رجلٌ اسمه عمرو بن جحاشٍ قرروا فيه الغدر أرادوا أن يأتوا برحى القمح والعيش ويلقوا بها على رأسه من أجل أن يموت فجاء الوحي ليُخبر النبي عليه الصلاة والسلام عما همُّوا به فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «انهضوا» فلم يبلغ صلى الله عليه وسلم المدينة حتى عبأ الصحابة رضي الله عنهم وحثهم على القتال فخرج إليهم واستخلف ابن أم مكتوم في ربيع الأول فحاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام ست ليالٍ

وفي تلك الفترة حرمت الخمر كما ذكره ابن حزم ويقول ابن كثير: لم أره لغيره، فكأنه يشير إلى أنه ليس بالقوي

قال عبد الله بن أبي لبني النضير: أنا معكم، سأقاتل معكم، إن خرجتم خرجنا معكم، فهؤلاء المساكين اغتروا بهذا الكلام فتحصنوا في الآطام التي هي الحصون وهذا ذكره الله عز وجل في سورة الحشر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: 12]

فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بقطع النخيل وإحراقها وفي هذا يقول حسان بن ثابت: وهان على سرات بني لؤيٍ حريق بالبويرة مستطيرٌ

فلما شعروا أن الأمر الآن متجهٌ إلى القضاء عليهم وهلاكهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يجليهم وأن يحقن دماءهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: 96] فقبل النبي عليه الصلاة والسلام بشرط أن يخرجوا وليس لهم إلا ما حملت إبلهم غير السلاح وخرج أكابرهم: حُيي بن أخطب وسلّام بن أبي الحقيق بأهليهم وأموالهم إلى خيبر وبعضهم إلى الشام ولم يُسلم منهم إلا رجلان: سعد بن وهب ويمين بن عمرو بن كعب

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم لمن قتل عمرو بن جحاش جُعلاً لما قد همَّ به من الفتك به عليه الصلاة والسلام وأحرز أموالهم وقسمها بين المهاجرين الأولين خاصةً إلا أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حبي بن الأنصار لفقرهم وقد كانت أموالهم مما أفاء الله على رسوله والتي ذكر الله عز وجل في سورة الحشر كما قال الله عز وجل: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7] ثم قال الله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾

فما حصل قتالٌ وفي هذه الغزوة نزلت سورة الحشر وكان عبد الله بن عباس يسميها غزوة بني النضير

اليهود قومٌ بُهتُ أصحابٍ غدرٍ وهذا طبعٌ فيهم وأحداث اليوم التي نراها شاهدةٌ للعيان فهم لا يكادون يستمرون على هدنةٍ متى ما رأوا أن الأمور مواتيةٌ لهم غدروا وهذا طبعٌ فيهم ودينٌ

تحريق ذوات الأرواح إذا كان تبعاً لا قصداً فإنه جائز والدليل تحريق النبي صلى الله عليه وسلم للنخيل ومعلوم أن النخيل فيها حشرات وفيها نوامس وفيها دويبات صغيرة من ذوات الأرواح لكنها ليست مقصودة لذاتها إنما جاءت تبعاً أما إحراق ذوات الأرواح أصالة فإنه لا يجوز لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يعذب بالنار إلا ربُّها»

الفيء الذي يأتي بدون قتال يتصرّف الإمام في قسمته ولا يجب تقسيمه بين الجيش بينما الفيء الذي فيه قتال فقد قسمه الله عز وجل في سورة الأنفال ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 41] إلى آخر الآية الكريمة.

نقض العهد يعني إعلان الحرب قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: 58] يعني قل لهم: العهد انتهى حتى لا يُظن بالمسلمين سوء وأنهم قوم غدِر وأنهم لا يفون بالعهود والمواعيد

وهي غزوة في جمادى الأولى من السنة السابعة

استعمل فيها النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفاري وسار حتى بلغ نخلاً وهو موضع بين مكة والطائف والطائف جهة نجد فلقي جمعا من غطفان وهم يتواجدون في تلك المناطق ولكن لم يكن بينهم وبينهم قتال

الصحيح أن صلاة الخوف فرضت بعد غزوة الخندق وليست في غزوة ذات الرقاع وأهل السير اختلفوا هل غزوة ذات الرقاع قبل غزوة الخندق أم بعدها؟ ابن كثير نفسه لما جاء إلى غزوة ذات الرقاع في "البداية والنهاية" قال: وكنا ذكرناها في أحداث سنة أربع للهجرة تبعاً لمن أظن قال لموسى بن عقبة أو غيره من المؤرخين ثم قال: فلتنقل هاهنا فجعلها في أحداث سنة ست من الهجرة وهذا هو الأقرب

غزوة عسفان كانت بعد الخندق فاقتضى هذا أن ذات الرقاع بعدها

يؤيد ذلك أن أبا موسى الأشعري وأبا هريرة رضي الله عنهما شهداها وأبو هريرة في قول جماهير أهل العلم لم يُسلم إلا عام خيبر وخيبر في قول الجمهور أيضاً لم تقع إلا شهر محرم السنة السابعة وأبو موسى الأشعري يقول في الصحيحين: "شهدت غزوة ذات الرقاع والسبب أنهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق لما نقبت" يعني حصل فيها خُرُوق وأبو موسى الأشعري أحد الذين حضروا هذه الغزوة وهو لم يكن حاضراً قبل غزوة الخندق

مثل هذه الغزوات الكبار لا يصلح أن يُقال فيها: إن القصة قد تعددت خاصة أنها ارتبطت بحدث كبير والأولى اللجوء إلى الترجيح

قصة جمل جابر ذكرت أنها وقعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة والأنسب أنها في غزوة تبوك كما ذكر الحافظ لما أنه كان قد قُتل أبوه في أحد وترك الأخوات فاحتاج أن يتزوج سريعاً ومن العلماء من رجح أنها في غزوة ذات الرقاع وليس في تبوك

أرصد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ربيثة (أشبه ما يكون بالطليعة الذي يحرس القوم) للمسلمين من العدو وهما عباد بن بشر وعمار بن ياسر فجاء رجل سبوا امرأته فحلف ليهرقن دمًا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ليلاً وأصاب عباد بن بشر بسهم غرب وهو قائم يصلي فنزعه ولم يبطل النبي عليه الصلاة والسلام صلاته ويحتج بهذا من يحتج من الفقهاء الذين يقولون إن الدم إذا أصاب بدن المصلي فإنه لا ينجس وحكي إجماعاً أن هذا الدم نجس وعُفي عنه للضرورة

قصة غورث بن الحارث وهو الرجل الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووجده مستظلاً تحت شجرة فاستل سيفه فقال: من يمنعك مني؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله» فسقط السيف من يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يمنعك مني؟» فقال: كن خير آخذٍ، فعفا عنه بعد أن فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة وقال: إن هذا الرجل اخترط سيفي ثم عفا عنه وأطلقه صلوات الله وسلامه عليه

وذلك أن أبا سفيان لما انتهت غزوة أحد قال: موعدكم وإياكم بدرٌ العام المقبل، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن يجيئه بنعم فلما كان شعبان في هذه السنة نهض الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أتى بدر الموعد واستخلف على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي رضي الله عنه فبقي ثمانى ليال ولكنه لم يلق كيداً وذلك أن أبا سفيان خرج بقريش فلما كان ببعض الطريق بدا لهم أن يرجعوا لأجل الجذب الذي أصيبوا به وهذه تُسمَّى بدر الثالثة أو بدر الموعد

وقعت في ربيع الأول من سنة خمسٍ كذلك رجع النبي صلى الله عليه وسلم فيها ولم يلق حرباً وقد استعمل على المدينة سباع بن عرفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه

وقعت في شهر شوال والصحيح في سنة خمسٍ وفي قول موسى بن عقبة سنة أربعٍ وكان الإمام مالك رحمه الله يُثني على مغازي الإمام موسى بن عقبة لكن للفائدة موسى بن عقبة رحمه الله كان عنده تأخيرٌ في السنوات سنة واحدةً فكان يؤرخ بدر في السنة الأولى وكان يؤرخ أحد في السنة الثانية فلما جاء إلى الخندق أرخها في السنة الرابعة فإذا عرفنا منهجه في هذا أمكننا أن نرد قول موسى بن عقبة إلى قول الجمهور فقط

وهي المعروفة بغزوة الأحزاب ومن المعلوم أن غزوة الأحزاب سميت بهذا لتحرُّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبائل الذين كانوا حول المدينة ومنهم أيضاً كانوا خارج المدينة

ابتلى الله فيها عباده المؤمنين وزلزلهم وثبَّت الإيمان في قلوب أوليائه وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق وفضحهم ووبَّخهم ثم أنزل نصره ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وأعز جنده وردَّ الكفرة بغيظهم ووقى المؤمنين شر كيدهم وذلك بفضلِه ومنَّه

في أول الأمر كانت الحروب كما قال أبو سفيان لما كان عند هرقل: الحرب بيننا وبينه سجالاً كانوا يُغزون ويُغزون لكن بعد غزوة الخندق لم يقع بعد هذه الغزوة من الكفار غزوٌ للمسلمين بل كان الغزو بعد ذلك من المسلمين تصديقا لقول النبي عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري من حديث سليمان بن صرد: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»

سبب الغزوة أن نفراً من يهود بني النضير الذين أخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر بما حملت دوابهم غير السلاح فقط كسلاً بن حقيق وابن مشكم وغيرهم خرجوا إلى قريش بمكة فألبوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم، قومٌ غدر فيفترض أن يقابلوا قبول النبي عليه الصلاة والسلام بالسماح عنهم وعدم قتلهم بالشكر قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82]

التقى اليهود مع المشركين فاجتمع كما يقال الضعت والإبانة فقال هؤلاء اليهود: نحن معكم وسننصركم فتورط المشركون في هذه الدعوة فخرجوا إلى غطفان وهم من القبائل التي تقترب من الطائف فدعوه

وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وعلى غطفان عيينة بن حصن الفزاعي، كلهم في نحو عشرة آلاف رجلاً

فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام بمسيرهم إلى المدينة فأمر بحفر الخندق وكان هذا اقتراحاً من سلمان فعل المسلمون مبادرين هجوم الكفار

وكان في حفره آياتٌ مفصَّلةٌ من ضمنها أنه عليه الصلاة والسلام لما كانت الشدة قد بلغت مبلغها عرضت لهم كديةٌ فدعوا النبي عليه الصلاة والسلام فضربها بمعوله الذي معه فانهالت كثيباً فقال عليه الصلاة والسلام: «الله أكبر! إني أرى قصور بصرى» هذه في سوريا الآن ثم يقول: «الله أكبر!، أوريث قصور كسرى» وهنا ينقسم الناس في أوقات الشدائد إلى قسمين يقول المؤمنون ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: 22] والقسم الثاني من الناس قالوا: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12]

